مجموعة سيرة الرسول ﷺ

بإشراف

محمد أحمد برانق

(١٢)

غزوة بدر

الطبعة الرابعة

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

برانق ، محمد أحمد
غزوة بدر / اشراف صح (تاليف) محمد أحمد برانق
- ط ٠٤ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.
٣٦ ص ؛ ١٩ سم - (مجموعة سيرة الرسول ؛ ١٣)
تدمك ٩٧٧ - ٠٢ - ٧٠٥٣ - ٩
١ - غزوة بدر.
(أ) العنوان

ديوى ٢٣٩,٤

رقم الايداع ٢٤٤٢٦/ ٢٠٠٦ ٧/٢٠٠٦/٩٥

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِم هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ » .

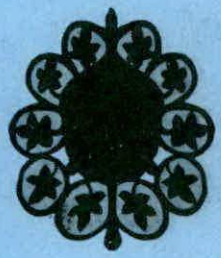

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ).

وَأَذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِى الْقِتَالِ لِرَدِّ ظُلْمِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُجَاهِدُوا فِى سَبِيلِ مَنْعِ فِتْنَةِ الْمُنَافِقِينَ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ مُحَمَّدٍ وَأَنْصَارِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ، بَلَدِهِمُ الَّذِى أُخْرِجُوا مِنْهُ ظُلْمًا، وَمَتَاعِهِمْ وَأَمْوَالِهِمُ الَّتِى تَرَكُوهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَإِلَى كَعْبَتِهِمُ الَّتِى حُرِمُوا الْحَجَّ إِلَيْهَا وَالطَّوَافَ حَوْلَهَا.

فَصَحَّ عَزْمُهُمْ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِقِتَالِ الْمُعْتَدِينَ عَلَى أَلَّا يَعْتَدُوا، وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا فِى سَبِيلِ الْإِسْلَامِ بِحَدِّ السَّيْفِ، حَتَّى يَمْنَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الظُّلْمَ، وَيَصُدُّوا فِتْنَةَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لِلْمُسْلِمِينَ فِى دِينِهِمْ

وَإيمَانِهِمْ ، وَأَنْ يَفْتَحُوا الطَّرِيقَ لِكَعْبَتِهِمْ ، وَأَنْ يُمَهِّدُوا لِحَجِّهِمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ

وَابْتَدَأَتْ جَمَاعَاتُ الْمُسْلِمِينَ تَلْتَمِسُ أَخْبَارَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَخَذَتِ السَّرَايَا تَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ لِتَعْتَرِضَ طَرِيقَ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ .

وَكَانَ عَلَى بَعْضِ هٰذِهِ السَّرَايَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَكَانَ عَلَى بَعْضِهَا الْآخَرِ النَّبِىُّ نَفْسُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِكْ هٰذِهِ الْجَمَاعَاتُ وَهٰذِهِ السَّرَايَا مَعَ قُرَيْشٍ فِى مَعَارِكَ جِدِّيَّةٍ ، وَلٰكِنَّهَا كَسَبَتْ مُحَالَفَاتٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَبَائِلِ الَّتِى كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهَا فِى سَيْرِهَا ، فَضَمِنَتْ مُؤَازَرَتَهَا لَهَا إِذَا دَعَا الدَّاعِى لِذٰلِكَ .

ثُمَّ كَانَ الْيَوْمُ الَّذِى خَافَتْهُ قُرَيْشٌ مُنْذُ خُرُوجِ مُحَمَّدٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ الَّتِى وَجِفَتْ مِنْهَا حِينَ عَلِمَتْ بِمُعَاهَدَةِ الْأَنْصَارِ لِمُحَمَّدٍ بِالْعَقَبَةِ ، وَكَانَ مَا خَشِيَتْهُ عَلَى تِجَارَتِهَا وَأَمْوَالِهَا الذَّاهِبَةِ لِرِحْلَةِ الشَّامِ وَالرَّاجِعَةِ مِنْهَا

فَقَدْ وَصَلَ إِلَى عِلْمِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ - وَهُوَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ - خَرَجَ فِى تِجَارَةٍ .

خَرَجَ فِى تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ ، وَمَعَهُ بَعْضُ رِجَالِ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، وَتِجَارَاتٌ وَاسِعَةٌ ، فَرَأَى مُحَمَّدٌ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ ، وَيُصَادِرَ أَمْوَالَهُمْ ، وَتِجَارَاتِهِمْ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

هٰذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ ؛ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا ؛ لَعَلَّهَا تَكُونُ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

خَرَجَ النَّبِىُّ ؛ وَمَعَهُ ثَلَاثُمائَةٍ ؛ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أَتْبَاعِهِ ؛ وَأَنْصَارِهِ ؛ وَسَبْعُونَ بَعِيرًا ، وَثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ ، يُرِيدُونَ أَبَا سُفْيَانَ ؛ وَالرَّكْبَ الَّذِى مَعَهُ .

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ يَعْتَرِضُونَ طَرِيقَهُ ، وَيَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَهُ مِنَ الشَّامِ – بَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ ؛ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو ؛ يُخْبِرُهَا بِاعْتِرَاضِ الْمُسْلِمِينَ لِتِجَارَتِهِمْ ، وَيَدْعُوهَا لِنَجْدَتِهِ ، وَأَمَرَهُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ ؛ أَنْ يَقْطَعَ أُذُنَىْ بَعِيرِهِ ، وَيُحَوِّلَ رَحْلَهُ ، وَيَشُقَّ قَمِيصَهُ مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ ، وَيَصِيحَ : الْغَوْثَ ، الْغَوْثَ .

وَكَانَتْ هٰذِهِ عَادَةَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ ؛ إِذَا جَاءَ بِخَبَرٍ خَطِيرٍ .

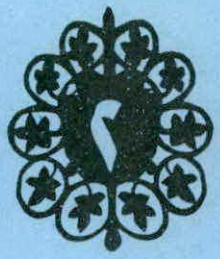

رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكَّةَ بِثَلاَثِ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا وَخَوَّفَتْهَا : رَأَتْ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتَّى وَقَفَ بِمَكَانٍ اسْمُهُ الأَبْطَحُ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَلا انْفِرُوا يَا آلَ غُدَرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِى ثَلاَثٍ . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَالنَّاسُ يَتْبَعُونَهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ صَرَخَ : أَلا انْفِرُوا يَا آلَ غُدَرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِى ثَلاَثٍ . ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ اسْمُهُ أَبُو قُبَيْسٍ فَصَرَخَ : أَلا انْفِرُوا يَا آلَ غُدَرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِى ثَلاَثٍ .

ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَقَذَفَ بِهَا إِلَى أَسْفَلِ الجَبَلِ فَسَقَطَتْ ، ثُمَّ تَنَاثَرَتْ ، وَدَخَلَ كُلَّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ قِطْعَةٌ مِنْهَا .

دَعَتْ عَاتِكَةُ أَخَاهَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا رَأَتْ ؛ فَقَالَ لَهَا : اكْتُمِيهَا ، وَلاَ تَذْكُرِيهَا ؛ وَلٰكِنَّهُ ذَكَرَهَا لِبَعْضِ مَنْ يَعْرِفُ ، فَشَاعَ حَدِيثُهَا فِى مَكَّةَ ، وَسَخِرَ مِنْهَا أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ : يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تَتَنَبَّأَ رِجَالُكُمْ حَتَّى تَتَنَبَّأَ نِسَاؤُكُمْ ؟ ! !

وَلٰكِنْ حَدَثَ أَنْ صَدَقَتْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ هٰذِهِ ، فَقَدْ وَصَلَ ضَمْضَمٌ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا ، جَدَعَ أُذُنَىْ بَعِيرِهِ ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ ، وَصَاحَ قَائِلاً :

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! يَا آلَ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ :

اللَّطِيمَةَ ؛ اللَّطِيمَةَ «أَىْ أَدْرِكُوا الْعِيرَ الَّتِى تَحْمِلُ الطِّيبَ وَالْمِسْكَ وَالْمَتَاعَ» ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِى أَصْحَابِهِ .

الْغَوْثَ ؛ الْغَوْثَ ؛ حَتَّى تُجِيرُوا تِجَارَتَكُمْ .

هَبَّ أَهْلُ مَكَّةَ لِلنَّجْدَةِ ؛ وَجَمَعُوا مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَجْمَعُوهُ مِنْ رِجالٍ وإِبِلٍ وخَيْلٍ ؛ وتَجَهَّزَ النَّاسُ سِراعًا ، وتَواصَوْا بِمُحارَبَةِ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى كَانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ : إِمَّا خارِجٌ ، وإِمَّا باعِثٌ مَكانَهُ رَجُلاً .

وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ أَشْرافِ قُرَيْشٍ ؛ إِلَّا أَبا لَهَبٍ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَأْجَرَ مَكانَهُ رَجُلاً ؛ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ التَّخَلُّفَ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ ، وَيُعَيِّرُونَهُ ، وَيَتَّهِمُونَهُ بِأَنَّهُ مِنَ النِّساءِ ، فَيَتَحَمَّسُ وَيَخْرُجُ مَعَهُمْ .

ومِنَ الَّذِينَ كانُوا يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ ؛ رَجُلٌ اسْمُهُ سُهَيْلٌ ، فَقَالَ لِقُرَيْشٍ : يا آلَ غالِبٍ ؛ أَتارِكُونَ أَنْتُمْ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ ، يَأْخُذونَ الْعِيرَ والْمَالَ ؟ ! ! مَنْ أَرادَ مالاً فَهٰذا مَالٌ ، ومَنْ أَرادَ قُوَّةً فَهٰذِهِ قُوَّةٌ .

خَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِى تِسْعِمائَةٍ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلاً ، وَمِائَةِ فَرَسٍ ، وَسَبْعِمائَةِ بَعِيرٍ ، وَمِائَةِ دِرْعٍ سِوَى دُرُوعِ الْمُشَاةِ ، وَمَعَهُمُ الْقِيَانُ يَتَغَنَّيْنَ بِهِجَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ . سَارُوا جَمِيعًا فِى غَيْظٍ شَدِيدٍ ، وَحَنَقٍ زَائِدٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَصَرُّوا إِصْرَارًا عَلَى قِتَالِهِ .

أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْعِيرِ ، حَتَّى دَنَا مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، فَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ الْخَبَرَ فِى خَوْفٍ شَدِيدٍ ، لِيَسْلَمَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ .

ثُمَّ مَكَثَ يَنْتَظِرُ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو ، وَمَنْ أَتَى مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ لِنَجْدَتِهِ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا .

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِى يُصْبِحونَ فِيهَا عَلَى مَاءِ بَدْرٍ ، جَعَلَتِ الْعِيرُ ، تُقْبِلُ بِوُجُوهِهَا نَحْوَ الْمَاءِ ، وَمَا بِهَا إِلَى الْمَاءِ حَاجَةٌ ، فَلَقَدْ شَرِبَتْ ، وَارْتَوَتْ بِالأَمْسِ الْقَرِيبِ . فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْعِيرِ هٰذَا . دَهِشُوا وَقَالُوا : هٰذا شَىْءٌ ما صَنَعَتْهُ الْعِيرُ مَعَنَا مُنْذُ خَرَجْنَا .

كَانَ الظَّلاَمُ حالِكًا فِى هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَرَى مَنْ

بِجَانِبِهِ ، فازْدَادَ خَوْفُهُمْ ، وَعَمَّ الاضْطِرَابُ والْفَزَعُ قُلُوبَهُمْ .

حَوَّلَ أَبُو سُفْيَانَ وَجْهَهُ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ ؛ لِخَوْفِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ الْمُتَرَبِّصِينَ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَدْرٍ ، فَغَيَّرَ طَرِيقَهُ وَسَارَ قَاصِدًا بِهَا سَاحِلَ الْبَحْرِ ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا ، وَانْطَلَقَ سَرِيعًا .

أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ ، يَنْزِلُونَ عِنْدَ كُلِّ مَاءٍ يُصَادِفُهُمْ يَنْحَرُونَ الإِبِلَ ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ . وَيَشْرَبُونَ الْخُمُورَ . وَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ ؛ إِذْ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَدْ أَتَاهُمْ . يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ والعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ . وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْعِيرَ قَدْ نَجَتْ . وَسَلِمَتْ مِنْ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِهِ . وَيَقُولُ لَهُمْ : لاَ تَجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَبَائِحَ لِأَهْلِ يَثْرِبَ ، يَذْبَحُونَكُمْ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ . عُودُوا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، فَقَدْ سَلِمَتِ الْعِيرُ ، وَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ فِيمَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا الْعِيرَ وَأَمْوَالَكُمْ ، وقَدْ نَجَّاهَا اللهُ . فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ ذٰلِكَ ، ولَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى نُصْحِهِ .

أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ ؛ فَقَدْ أَرَادُوا الرُّجُوعَ ، فاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ أَبُو جَهْلٍ ، وَقَالَ : لاَ وَاللهِ لاَ نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا ، فَنُقِيمَ ثَلاثًا : نَنْحَرُ الإِبِلَ ، ونُطْعِمُ الطَّعَامَ ،

ونَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وتَعْزِفُ الْقِيَانُ عَلَيْنَا ، فَلَنْ تَزَالَ الْعَرَبُ تَهابُنَا أَبَدًا .

عَادَ الرَّجُلُ إِلَى أَبِى سُفيانَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ ، وَذَهابِهِمْ إِلَى بَدْرٍ وإِصْرَارِهِمْ عَلَى ذٰلِكَ ، فَقَال أَبُو سُفْيانَ :

واقَوْمَاهُ ؛ هٰذَا عَمَلُ أَبِى جَهْلٍ ، كَرِهَ أَنْ يَرْجِعَ لأَنَّهُ تَرَأَّسَ عَلَى النَّاسِ ! ! لَقَدْ بَغَى وظَلَمَ ، واسْتَبَدَّ وتَجبَّرَ ، والْبَغْىُ مَنْقَصَةٌ وشُؤْمٌ .

وصَلَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وجَيْشُهُ إِلَى بِئْرِ أَبِى عِنَبَةَ ؛ عَلَى بُعْدِ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فاسْتَعْرَضَ الْجَيْشَ ، وَرَدَّ من اسْتَصْغَرَ سِنَّهُ ، ثُمَّ سارَ حَتَّى أَتَى الرَّوْحَاءَ لَيْلَةَ الأَرْبَعَاء للنِّصْفِ مِنْ رَمَضانَ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى ، ولَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ لَعَنَ الْكَفَرَةَ ، وَقَالَ :

اللّهُمَّ لاَ تُفْلِتَنَّ أَبَا جَهْلٍ فِرْعَوْنَ هٰذِهِ الأُمَّةِ .

وفِى هٰذِهِ الأَثْنَاء ، أَتَاهُ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ ، وخُرُوجِهِمْ إِلَيْهِ ، فاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ . عِنْدَ ذٰلِكَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ . وكَذٰلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ :

يا رَسُولَ اللهِ ؛ امْضِ لأَمْرِ اللهِ فَنَحْنُ مَعَكَ ، واللهِ لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قالَتْ

بَنُو إِسْرَائِيلَ لِنَبِيِّها : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ، إِنَّا هٰهنا قاعِدُونَ ، ولٰكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَقاتِلاَ ، إِنَّا مَعَكُمَا مُقاتِلُونَ . فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ قالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَفَهِمَ الأَنْصَارُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَعْنِيهِمْ ، لأَنَّ هٰذِهِ أَوَّل مَرَّةٍ يَخْرُجُونَ فِيهَا مَعَهُ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ مِنْ سَادَتِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ : لَعَلَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ الله ؟ فقالَ : أَجَلْ .

فَقَالَ سَعْدٌ : إِنِّى أَقُولُ عَنِ الأَنْصَارِ ، وَأُجِيبُ عَنْهُمْ :

إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ ، وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ ، فَأَعْطَيْنَاكَ مَوَاثِيقَنَا وَعُهُودَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فامْضِ - يَا نَبِىَّ اللهِ - لِمَا أَرَدْتَ ، فَوَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هٰذَا الْبَحْرَ ، فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا بَقِىَ مِنَّا رَجُلٌ ، وَصِلْ مَنْ شِئْتَ ، وَاقْطَعْ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ ، وَمَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ،

مَا سَلَكْتُ هٰذا الطَّرِيقَ قَطُّ ، وَمَالِى بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، وَمَا نَكْرُهُ أَنَ نَلْقَى عَدُوَّنَا ، وَإِنَّا لَصَبُورُونَ عِنْدَ الْحَرْبِ ، أَشِدَّاءُ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا بَعْضَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ .

فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، وَسُرَّ مِنْ ذٰلِكَ الْكَلَامِ الَّذِى يَدُلُّ عَلَى الإِخْلَاصِ لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ .

وَلَمَّا فَرَغَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنَ الْمَشُورَةِ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِى إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللهِ لَكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ أَرَاهُمْ مَصَارِعَهُمْ يَوْمَئِذٍ : هٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ ، وَهٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ ، فَمَا عَدَا كُلُّ رَجُلٍ مَصْرَعَهُ .

عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْقِتَالِ ، وَأَنَّ الْعِيرَ تَفْلِتُ مِنْ أَيْدِيهِمْ . وَفِى هٰذَا الْيَوْمِ عَقَدَ الرَّسُولُ أَلْوِيَةً ثَلَاثَةً ، حَمَلَ كُلَّ لِوَاءٍ مِنْهَا وَاحِدٌ مِنْ أَنْصَارِهِ .

ارْتَحَلَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا ،

وَالزُّبَيْرَ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِى وَقَّاصٍ ، يَتَحَسَّسُونَ عَلَى الْمَاءِ ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَى جَبَلٍ صَغِيرٍ مُنْبَسِطٍ . وَقَالَ لَهُمْ : أَرْجُو أَنْ تَجِدُوا الْخَبَرَ عِنْدَ هٰذَا الْقَلِيبِ «البِئر» الَّذِى يَلِى الْجَبَلَ ، فَوَجَدُوا عَلَى تِلْكَ الْبِئْرِ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَقُونَ ، فَأَمْسَكُوا بِغُلامَيْنِ ظَنُّوا أَنَّهُمَا لأَبِى سُفْيَانَ ، وَفَرَّ الْبَاقُونَ .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : يَا آلَ غَالِبٍ ، إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ أَخَذُوا سُقَاءَكُمْ ، وَسَاقُوهُمْ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ .

فَمَاجَ الْكُفَّارُ ، وَاضْطَرَبُوا ، وَشَاعَ الْفَزَعُ بَيْنَ جُنُودِهِمْ .

أَمَّا عَلِىٌّ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ ، فَقَدْ رَجَعُوا إِلَى مُحَمَّدٍ بِالْغُلامَيْنِ اللَّذَيْنِ أَمْسَكُوهُمَا عِنْدَ الْبِئْرِ ، وَسَأَلُوهُمَا ، فَقَالاَ :

نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ ، فَأَوْجَعُوهُمَا ضَرْبًا .

فَقَالاَ نَحْنُ لأَبِى سُفْيَانَ . فَتَرَكُوهُمَا .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذْ ذَاكَ يُصَلِّى ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلاَتِهِ ، قَالَ :

إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا .

صَدَقَا وَاللهِ ، إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ . ثمَّ سَأَلَهُمَا النَّبِىُّ عَنْ أَبِى سُفْيَانَ ، فَقَالاَ :
لاَ عِلْمَ لَنَا بِهِ ، وَلَمْ نَرَهُ . وَسَأَلَهُمَا عَنْ مَوْضِعِ قُرَيْشٍ ، فَأَخْبَرَاهُ أَنَّ قُرَيْشًا قَرِيبُونَ مِنْهُمْ .

ثُمَّ سَأَلَهُمَا أَخِيرًا عَنْ عَدَدِ الْجَيْشِ ، فَقَالاَ :
لاَ نَدْرِى ! ! وَاللهِ إِنَّ عَدَدَهُمْ كَثِيرٌ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الإِبِلِ كُلَّ يَوْمٍ ؟
فَقَالاَ : يَنْحَرُونَ يَوْمًا تِسْعًا ، وَيَوْمًا عَشْرًا .
فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لأَصْحَابِهِ :
الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِمِائَةِ إِلَى الأَلْفِ . ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ : هٰذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاَذَ أَكْبَادِهَا .

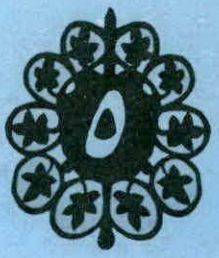

اسْتَشَارَ النَّبِىُّ أَصْحَابَهُ فى الْمَكَانِ الَّذِى يَنْزِلُونَ فِيهِ .

فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ : انْطَلِقْ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنِّى عَالِمٌ بِهَا ، وَبِقُلُبِهَا ؛ إِنَّ بِهَا قَلِيبًا قَدْ عَرَفْتُ عُذُوبَةَ مائِهِ الَّذِى لا يَنْفَدُ ، ثُمَّ نَبْنِى عَلَيْهَا حَوْضًا ، فَنَشْرَبُ ، وَنُقَاتِلُ ، وَنَرْدِمُ مَا سِوَاهَا مِنَ الْقُلُبِ .

وَكَانَ يُهِمُّهُمْ أَنْ يَحْتَاطُوا لأَنْفُسِهِمْ بِالْمَاءِ ، فَلاَ يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

فَقَالَ الرَّسُولُ : يَا حُبَابُ : أَشَرْتَ بِالرَّأْىِ .

نَهَضَ النَّبِىُّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِمَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ سَارُوا حَتَى نَزَلُوا عَلَى الْقَلِيبِ بِبَدْرٍ ، وَفَعَلَ مَا أَشَارَ بِهِ الْحُبَابُ .

وَفِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مَا لَبَّدَ الأَرْضَ ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنَ السَّيْرِ ، فَشَرِبُوا ، وَاغْتَسَلُوا ، وَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ .

وَأَصَابَ قُرَيْشًا مِنْ ذٰلِكَ مَا جَعَلَهُمْ فِى عَجْزٍ عَنِ السَّيْرِ وَالارْتِحَالِ ، فَكَانَ الْمَطَرُ نِعْمَةً وَقُوَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَبَلاَءً وَنِقْمَةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

بَعَثَ النَّبِىُّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى يُعَسْكِرُ فِيهِ جَيْشُ الْكُفَّارِ ، فَدَارَا حَوْلَهُ ، وَعَرَفَا أَخْبَارَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعَا ، فَأَخْبَرَا النَّبِىَّ بِأَنَّ الأَعْدَاءَ فِى ذُعْرٍ شَدِيدٍ ، وَأَنَّ السَّمَاءَ تُنْزِلُ الْمَطَرَ الْغَزِيرَ عَلَيْهِمْ .

وَأَشَارَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى النَّبِىِّ بِبِنَاءِ خَيْمَةٍ عَلَى تَلٍّ يُشْرِفُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ ، يَسْتَظِلُّ بِهَا ، وَيَأْوِى إِلَيْهَا كُلَّمَا طَلَبَ الرَّاحَةَ ، وَأَرَادَ الصَّلاَةَ وَالدُّعَاءَ ، فَعَمِلَ النَّبِىُّ بِإِشَارَتِهِ .

سَارَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى مَوْضِعِ هٰذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَأَبَانَ لأَصْحَابِهِ مَصَارِعَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ مَكَّةَ مَصْرَعًا مَصْرَعًا . فَمَا عَدَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَضْجَعَهُ الَّذِى حَدَّدَهُ لَهُ الرَّسُولُ .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى جُنْدِهِ ، وَأَخَذَ يُعَدِّلُ صُفُوفَهُمْ ، وَيُنَظِّمُهَا تَنْظِيمَ الْعَالِمِ الْخَبِيرِ بِفُنُونِ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ بِجَيْشِهِ حَتَّى أَصْبَحَ بِبَدْرٍ . وَنَزَلَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ قُرَيْشٌ . وَخَطَبَ النَّبِيُّ فِي جَيْشِهِ ، فَحَمِدَ اللهَ . وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحُثُّكُمْ عَلَى مَا حَثَّكُمُ اللهُ عَلَيْهِ . وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ، يَأْمُرُ بِالْحَقِّ ، وَيُحِبُّ الصِّدْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ ، بِهِ يُذْكَرُونَ ، وَبِهِ يَتَفَاضَلُونَ .

وَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِمَنْزِلِ الْحَقِّ ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ ، وَيُنَجِّي بِهِ مِنَ الْغَمِّ ، وَتُدْرِكُونَ النَّجَاةَ فِي الآخِرَةِ .

فِيكُمْ نَبِيُّ اللهِ يُحَذِّرُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ ، فَاسْتَحْيُوا الْيَوْمَ أَنْ يَطَّلِعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ يَمْقُتُكُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ : (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) .

انْظُرُوا الَّذِى أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ كِتَابِهِ . وَأَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ . وَأَعَزَّكُمْ بِهِ بَعْدَ ذِلَّةٍ . فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ . يَرْضَى بِهِ رَبُّكُمْ عَنْكُمْ . وَأَبْلُوا رَبَّكُمْ فِى هٰذِهِ الْمَوَاطِنِ أَمْرًا تَسْتَوْجِبُوا الَّذِى وَعَدَكُمْ بِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، فَإِنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ ، وَقَوْلَهُ صِدْقٌ ، وَعِقَابَهُ شَدِيدٌ ، وَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ بِاللهِ الْحَىِّ الْقَيُّومِ ، إِلَيْهِ أَلْجَأْنَا ظُهُورَنَا ، وَبِهِ اعْتَصَمْنَا ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، يَغْفِرُ اللهُ لِى وَلِلْمُسْلِمِينَ » .

بَعَثَتْ قُرَيْشٌ بِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ ، لِيَقِفَ عَلَى عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَتَعَرَّفَ أَخْبَارَهُمْ ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مُسْتَخْفِيًا ، دَارَ حَوْلَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعَ قَائِلاً لِقُرَيْشٍ :

إِنَّ الْقَوْمَ ثَلاَثُمِائَةٍ أَوْ يَزِيدُ قَلِيلاً ، وَإِنَّ مَعَهُمْ سَبْعِينَ بَعِيرًا ، وَثَلاَثَةَ أَفْرَاسٍ .

ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ الْبَلاَيَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا ، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ ؛ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ ، قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ ، وَلاَ مَلْجَأٌ إِلاَّ سُيُوفَهُمْ ، أَلاَ تَرَوْنَهُمْ خُرْسًا لا يَتَكَلَّمُونَ ، يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الأَفَاعِى ، وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ

رَجُلٌ ، حَتَّى يَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ مِثْلَ عَدَدِهِمْ ، فَمَا خَيْرٌ فِى الْعَيْشِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

لَمْ تُصَدِّقْ قُرَيْشٌ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ ، فَبَعَثُوا غَيْرَهُ ؛ فَذَهَبَ إِلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَخْفِيًا ، وَدَارَ حَوْلَهُ بِفَرَسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ : وَاللهِ مَا رَأَيْتُ جَلَدًا (شجعانًا) وَلاَ عَدَدًا وَلاَ كُرَاعًا (سلاحًا) ، وَلٰكِنِّى رَأَيْتُ قَوْمًا لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يَئُوبُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ ، لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ ، وَلاَ مَلْجَأٌ إِلاَّ سُيُوفَهُمْ ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

عِنْدَ مَا سَمِعَ رِجَالُ قُرَيْشٍ هٰذَا الْقَوْلَ ، خَافَ بَعْضُهُمْ وَارْتَجَفَ ، وَمَشَى فِى النَّاسِ يَحُثُّهُمْ عَلَى الرُّجُوعِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَوَافَقَهُ بَعْضُهُمْ ، وَعَادُوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا .

وَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدٌ قُرَيْشًا ، وَمَا أَعَدَّتْهُ لِحَرْبِهِ قَالَ :

« اللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذِهِ قُرَيْشٌ ، قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلائِهَا تُجَادِلُكَ ، وَتُخَالِفُ أَمْرَكَ ، وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ؛ اللّٰهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِى وَعَدْتَنِى بِهِ ، اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِى

بِالثَّبَاتِ ، وَوَعَدْتَنِى إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ » .

وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى أَنْ أَرَاهُ فِى الْمَنَامِ أَنَّ الْكُفَّارَ عَدَدُهُمْ قَلِيلٌ ، لِيَقْوَى جَأْشُهُ ، وَيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ ، وَيَزْدَادَ بَأْسُهُ .

وَقَبْلَ الْمَعْرَكَةِ ، جَعَلَ اللهُ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ فِى أَعْيُنِ الكافِرِينَ قَلِيلاً ، اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ لِيُقْدِمُوا .

وَعِنْدَ نُشُوبِ الْقِتَالِ ، جَعَلَهُمْ فِى أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرًا ، لِيَتَمَلَّكَهُمُ الْخَوْفُ ، وَيَسْتَوْلِىَ عَلَيْهِمُ الرُّعْبُ وَالْفَزَعُ .

كَمَا جَعَلَ عَدَدَ الْمُشْرِكِينَ فِى أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلاً ، لِيَشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ ، وَيَقْوَى جَانِبُهُمْ .

وَلَمَّا حَمِىَ الْوَطِيسُ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ - رَفَعَ الْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ مُتَّجِهِينَ إِلَى اللهِ بِقُلُوبِهِمْ ، يَسْأَلُونَهُ الرَّحْمَةَ ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْعَوْنَ وَالنَّصْرَ .

فَقَالَ اللهُ لَهُمْ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ، فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ) .

وَقَالَ لَهُمْ : (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

ثُمَّ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَقُونَ مِنَ الْحَوْضِ ، فَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ بِطَرْدِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : دَعُوهُمْ وَشَأْنَهُمْ . وَمَا شَرِبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ قُتِلَ .

بَعْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ أَبُو جَهْلٍ يَحُثُّ عَامِرَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ ، وَيَحُضُّهُ عَلَى الأَخْذِ بِثَأْرِ أَخٍ لَهُ كَانَ قَدْ قُتِلَ مِنْ قَبْلُ ، فَقَامَ عَامِرٌ وَصَرَخَ قَائِلاً : وَاعُمَرَاهْ ، وَاعُمَرَاهْ .

ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَمَلَ ، فَنَاوَشَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَبَّتِ الْحَرْبُ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَامَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَتَلَهُ .

فَكَانَ مِهْجَعٌ أَوَّلَ شَهِيدٍ يَوْمَ بَدْرٍ .

تَزَاحَفَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ الأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الأَسْوَدِ الْمَخْزُومِيُّ :

أُعَاهِدُ اللهَ لأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لأَهْدِمَنَّهُ ، أَوْ لأَمُوتَنَّ دُونَهُ . فَسَارَ حَتَّى

اقْتَرَبَ مِنَ الْحَوْضِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ ضَرْبَةً سَرِيعَةً قَوِيَّةً قَطَعَتْ رِجْلَهُ ، فَزَحَفَ الأَسْوَدُ حَتَّى وَقَعَ فِى الْحَوْضِ ، فَهَدَمَهُ بِرِجْلِهِ الصَّحِيحَةِ ، وَشَرِبَ مِنْهُ ، وَحَمْزَةُ يَتْبَعُهُ ، وَمَا كَانَ مِنْ حَمْزَةَ إِلاَّ أَنْ ضَرَبَهُ وَهُوَ فِى الْحَوْضِ فَقَتَلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَخُوهُ شَيْبَةُ ، وَابْنُهُ الْوَلِيدُ ، وَطَلَبُوا الْمُبَارَزَةَ .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةٌ مِنْ فِتْيَانِ الأَنْصَارِ ، فَاسْتَحْيَا رَسُولُ اللهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ قِتَالٍ لَقِىَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ الْكَافِرِينَ فِى الأَنْصَارِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ قِتَالٍ فِى بَنِى عَمِّهِ وَقَوْمِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ : يَا بَنِى هَاشِمٍ ؛ قُومُوا فَقَاتِلُوا بِحَقِّكُمُ الَّذِى بَعَثَ بِهِ نَبِيَّكُمْ - إِذْ جَاءُوا بِبَاطِلِهِمْ ، لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ .

فَقَامَ عَلِىٌّ ، وَحَمْزَةُ ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَمَشَوْا إِلَيْهِمْ .

فَقَالَ عُتْبَةُ لِابْنِهِ :

قُمْ يَا وَلِيدُ ؛ فَقَامَ ، فَقَتَلَهُ عَلِىٌّ .

ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ نَفْسُهُ ، فَقَتَلَهُ حَمْزَةُ .

ثُمَّ قَامَ شَيْبَةُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُبَيْدَةُ ، فَضَرَبَهُ شَيْبَةُ ، فَقَطَعَ سَاقَهُ .

رَأَى حَمْزَةُ ، وَعَلِيٌّ ذٰلِكَ ، فَأَسْرَعَا إِلَى شَيْبَةَ فَقَتَلاَهُ ، ثُمَّ حَمَلاَ عُبَيْدَةَ إِلَى الصَّفِّ ، وَمَاتَ شَهِيداً .

عِنْدَ ذٰلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لأَصْحَابِهِ :

قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ .

فَلَمَّا سَمِعَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ مِنْ رَسُولِ اللهِ الْوَعْدَ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : بَخٍ بَخٍ ، مَا بَيْنِى وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلاَّ أَنْ يَقْتُلَنِى هٰؤُلاَءِ .

ثُمَّ أَلْقَى التَّمْرَ الَّذِى كَانَ يَأْكُلُهُ ، وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً .

وَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، أَخَذَ رَسُولُ اللهِ قَبْضَةً مِنَ الرَّمْلِ ، وَاسْتَقْبَلَ قُرَيْشاً وَرَمَاهُمْ بِهَا ، قَائِلاً :

« شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، شَاهَتِ الْوُجُوهُ » .

فَلَمْ يَبْقَ أَنْفٌ وَلاَ عَيْنٌ وَلاَ فَمٌ مِنَ الْكُفَّارِ إِلاَّ أَصَابَهُ شَىْءٌ مِنَ الْحَصَى .

وَبَيْنَمَا هُمْ يُعَالِجُونَ أَنْفُسَهُمْ ، انْقَضَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ : يَقْتُلُونَ ، وَيَأْسِرُونَ ؛ وَيَغْنَمُونَ ، حَتَّى فَازُوا بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ .

وَلَمَّا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْحَثَ النَّاسُ عَنْ أَبِى جَهْلٍ فِى الْقَتْلَى ، وَأَعْطَاهُمْ عَلَامَتَهُ إِنْ خَفِىَ عَلَيْهِمْ ، فَوَجَدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَلْفِظُ الأَنْفَاسَ الأَخِيرَةَ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِهِ ، وَضَرَبَهُ فَقَطَعَ رَأْسَهُ .

وَكَذٰلِكَ قُتِلَ سَادَةُ قُرَيْشٍ ، وَأَئِمَّةُ الْكُفْرِ مِنْهُمْ ، وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ قُتِلُوا سَبْعِينَ ، وَعَدَدُ الَّذِينَ أُسِرُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ .

وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ . ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَطُرِحُوا فِى الْقَلِيبِ « البئر » وَرُدِمَتْ عَلَيْهِمْ . وَنَادَاهُمُ الرَّسُولُ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

« بِئْسَ الْعَشِيرَةُ أَنْتُمْ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّى وَجَدْتُ

مَا وَعَدَنِى اللهُ حَقًّا ، كَذَّبْتُمُونِى وَصَدَّقَنِى النَّاسُ ، وَأَخْرَجْتُمُونِى وَآوَانِى النَّاسُ ، وَقَاتَلْتُمُونِى وَنَصَرَنِى النَّاسُ » . فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ تُنَادِى قَوْمًا قَدْ مَاتُوا ! قَالَ : قَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى جُثَّةِ أَبِى جَهْلٍ ، وَقَالَ : « هٰذَا أَعْتَى عَلَى اللهِ مِنْ فِرْعَوْنَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ وَحَّدَ اللهَ ، وَإِنَّ هٰذَا لَمَّا أَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ دَعَا بِاللاَتِ وَالْعُزَّى » .

وَلَمَّا تَمَّ النَّصْرُ لِلنَّبِىِّ وَأَصْحَابِهِ ، أَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ ، يُبَشِّرَانِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ وَحَزِنَ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ .

وَعِنْدَ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ وَالأَنْفَالِ ، اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ وَتَنَازَعُوا فَقَالَ الشُّبَّانُ :
إِنَّ الْغَنَائِمَ لَنَا ، لأَنَّنَا هَزَمْنَا الْعَدُوَّ بِقُوَّتِنَا وَبَأْسِنَا .
فَقَالَ الشُّيُوخُ : بَلْ إِنَّنَا كُنَّا نَحْمِي ظُهُورَكُمْ .
وَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ أَتُعْطِي فَارِسَ الْقَوْمِ مِثْلَ مَا تُعْطِي الضَّعِيفَ ؟!
فَقَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، وَهَلْ تُنْصَرُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ ؟! » .
فَأَوْحَى اللهُ لِنَبِيِّهِ : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ؛ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللهَ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

ثُمَّ نَادَى مُنَادِى النَّبِىِّ : مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ .

وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَهُوَ لَهُ ، وَمَا وُجِدَ فِى الْعَسْكَرِ ، وَمَا أُخِذَ بِغَيْرِ قِتَالٍ فَهُوَ قِسْمَةٌ بَيْنَكُمْ .

فَأَذْعَنَ الْقَوْمُ ، وَتَرَكُوا الْغَنَائِمَ لِلرَّسُولِ يُقَسِّمُهَا بِمَا يُرْضِيهِمْ ، وَحَسَبَ حُكْمِ اللهِ ، أَمَّا الأَسْرَى ، فَقَدِ اسْتَشَارَ النَّبِىُّ أَصْحَابَهُ فِيهِمْ ، فَأَشَارَ عُمَرُ بِالْقَتْلِ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وعِنَادِهِمْ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ هُمْ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، وَقَدْ مَكَّنَكَ اللهُ مِنْهُمْ بِالنَّصْرِ والظَّفَرِ ، أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُمْ ، وَتَأْخُذَ الْفِدَاءَ مِنْهُمْ ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ عَوْنًا لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ ؛ وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ لَكَ ، فَيَكُونَ ذٰلِكَ عَضُدًا .

أَخَذَ النَّبِىُّ بِرَأْىِ أَبِى بَكْرٍ ، وَهُوَ قَبُولُ الْفِدْيَةِ ، فَأَخَذَهَا مِمَّنْ قَدَرَ عَلَيْهَا ، وتَرَكَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ، وَأَمَّا مَنْ كان يَعْرِفُ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ ، فَقَدْ جَعَلَ فِدَاءَهُ تَعْلِيمَ عَشَرَةٍ مِنْ غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ .

قَدِمَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَدِينَةِ مُظَفَّرًا مَنْصُورًا ؛ بَعْدَ أَنْ مَكَّنَ اللهُ

لَهُ ، وَدَخَلَهَا مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ .

فَأَذَلَّ اللهُ بِغَزْوَةِ بَدْرٍ نُفُوسَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَأَخْضَعَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنَ المعَانِدِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وَنَاحَتْ قُرَيْشٌ شَهْرًا عَلَى قَتْلاهَا ، وَجَزَّ النِّسَاءُ شُعُورَهُنَّ لِفَقْدِ أَزْوَاجِهِنَّ وَأَوْلاَدِهِنَّ .

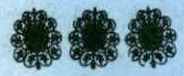

وَلِشِدَّةِ مَا أَصَابَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ : مِنْ تَعْذِيبٍ ، وَتَقْتِيلٍ ، وَمَا لَحِقَهُمْ مِنْ خَسَارَةٍ وَهَزِيمَةٍ ، جَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ ؛ إِنْ قَتَلَ رَسُولَ اللهِ ؛ أَنْ يَتَحَمَّلَ بِدَيْنِهِ ، وَيَقُومَ بِتَرْبِيَةِ عِيَالِهِ ، وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ .

فَقَدِمَ عُمَيْرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ ، يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ .

فَأَدْخَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَقْدَمَكَ يَا عُمَيْرُ ؟!

فَقَالَ : قَدِمْتُ فِي أَسِيرٍ عِنْدَكُمْ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ : فَمَا بَالُ السَّيْفِ ؟!

قَالَ عُمَيْرٌ : قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ ، وَهَلْ أَغْنَتْ مِنْ شَيْءٍ ؟! إِنَّمَا أَنْسِيتُهُ

حِينَ نَزَلْتُ وَهُوَ فِى رَقَبَتِى .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : اُصْدُقْ - مَا أَقْدَمَكَ ؟!

قَالَ عُمَيْرٌ : مَا قَدِمْتُ إلاَّ فِى أَسِيرِى .

قَالَ رَسُولُ اللهِ : فَمَاذَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِى الْحِجْرِ ؟ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِى اتَّفَقَا فِيهِ .

فَفَزِعَ عُمَيْرٌ ، ثُمَّ قَالَ : مَاذَا شَرَطْتُ لَهُ ؟!

قَالَ رَسُولُ اللهِ : تَحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِى ، عَلَى أَنْ يَقْضِىَ دَيْنَكَ ، وَيَعُولَ عِيَالَكَ ، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ .

قَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، وَأَنَّكَ صَادِقٌ ، ثُمَّ أَسْلَمَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لأَصْحَابِهِ : عَلِّمُوا أَخَاكُمُ الْقُرْآنَ ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ .

ثُمَّ عَادَ عُمَيْرٌ إِلَى مَكَّةَ ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ ، واتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ .

طبع بمطابع دار المعارف